سورة الزمر

٨٨٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ . . ﴿٢﴾﴾.

عبر فيه هنا بـ «إلى» وفيه وفى أثناء السورة بـ «على»«٤١». . تقدم فى البقرة الفرق بين «إلى» و«على» ونزيد هنا أن كل موضع خوطب فيه النبى ﷺ بالإنزال، أو التنزيل، أو النزول، إن عدى بـ «إلى» ففيه تكليف له أو بـ «على» ففيه تخفيف عنه، فما هنا تكليف له بالإخلاص فى العبادة بدليل قوله ﴿فاعبد الله مخلصًا له الدين﴾ وما فى أثناء السورة تخفيف عنه بدليل قوله: ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ أى لست بمسئول عنهم.

٨٨٣ ـ قوله تعالى: ﴿. . إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾.

أى دائم على كفره وكذبه أو لا يهديه إلى حجة يلزم بها المؤمنين وإلا فكم هدى من كافر.

٨٨٤ ـ قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ . . ﴿٤﴾﴾.

إن قلت: كيف يكون قوله فيها: ﴿لاصطفى مما يخلق ما يشاء﴾ مع أن كل من ادعى له ولدا أن نسب إليه ولدًا قال: إن الله اصطفاه من خلقه فجعله ولدا؟

قلت: أن جعل رد اليهود فى قولهم: أن عزير ابن الله، وعلى النصارى فى قولهم: أنه المسيح. . كان معناه: لاصطفى ولدًا من الملائكة لا من البشر، لأن الملائكة أشرف من البشر بلا خلاف بين اليهود والنصارى.

أو ردًا على مشركى العرب فى قولهم: أنه الملائكة، كان معناه: لاصطفى ولدًا من جنس ما يخلق كل شىء يريده، ليكون ولده موصوفًا بصفته، لا من الملائكة الذين لا يقدرون على إيجاد جناح بعوضة.

ولا يرد على هذا خلق عيسى عليه السلام، لأنه ليس بتام أو لأنه بمعنى التقدير من الطين، ثم الله يخلقه حيوانًا، بنفخ عيسى عليه السلام إظهارًا لمعجزته.

٨٨٥ ـ قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ .. ﴿٥﴾﴾ أى بسبب إقامته.

٨٨٦ ـ قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا .. ﴿٦﴾﴾ الآية.

إن قلت: كيف عطف بـ «ثم» مع أن خلق حواء من آدم سابق على خلقنا منه؟

قلت: «ثم» هنا للترتيب فى الإخبار لا فى الإيجاد، أو المعطوف متعلق بمعنى واحدة، و﴿ثم﴾ عاطفة عليه لا على ﴿خلقكم﴾ فمعناه: خلقكم من نفس واحدة أفردت بالإيجاد، ثم شفعت بزوج.

أو هو معطوف على ﴿خلقكم﴾ لكن المراد بخلقهم، خلقهم يوم أخذ الميثاق، لا هذا الخلق الذى يتم فيه الآن، بالتوالد والتناسل، وذلك أن الله خلق آدم عليه السلام، ثم أخرج أولاده، من ظهره كالذر، وأخذ عليهم الميثاق ثم ردهم إلى ظهره، ثم خلق منه حواء.

٨٨٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ .. ﴿٦﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن الأنعام مخلوقة فى الأرض، لا منزلة من السماء؟

قلت: هذا من مجاز النسبة إلى سبب السبب، إذ الأنعام لما كانت لا تعيش إلا بالنبات والنبات لا يعيش إلا بالمطر، والمطر منزل من السماء، وصفها بالإنزال من تسمية المسبب باسم سبب سببه.

---

٨٨٥ ـ انظر الطبرى ٢٣/ ١٢٣.

٨٨٦ ـ الطبرى ٢٣/ ١٢٩ والقرطبى ١٥/ ٢٣٦.

٨٨٧ ـ انظر الدر المنثور للسيوطى ٥/ ٣٢٣.

أو معناه: وقضى لكم، لأن قضاءه منزل من السماء من حيث كتب فى اللوح المحفوظ.

أو خلقها فى الجنة ثم أنزلها على آدم عليه السلام، بعد إنزاله إلى الأرض، والإنزال بمعنى الإحداث والإنشاء لقوله تعالى: ﴿يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا﴾.

٨٨٨ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾﴾.

زاد اللام بعد ﴿أمرت﴾ الثانى«١٢» دون الأول، لأن مفعول الثانى محذوف اكتفاء بمفعول الأول، والتقدير: وأمرت أن أكون عبدًا لله لا أكون.

فإن قلت: لم قال فى هذه الآية ﴿مخلصًا له الدين﴾ بـ «ال» وقال بعد: ﴿قل الله أعبد ومخلصًا له دينى﴾ بالإضافة.

قلت: لأن قوله ﴿الله أعبد﴾ إخبار عن المتكلم فناسبت الإضافة إليه، وقوله: ﴿أمرت أن أعبد الله﴾ ليس إخبارًا عن المتكلم فناسبت الإخبار عنه أصالة ﴿أمرت﴾ فقط وما بعده فضله.

٨٨٩ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا .. ﴿٢١﴾﴾.

قاله هنا بلفظ ﴿يجعله﴾ وفى «الحديد: ٢٠» بلفظ ﴿يكون﴾موافقة فى كل منهما لما قبله وهو «كمثل غيث أعجب الكفار نباته».

٨٩٠ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ.. ﴿٤١﴾﴾.

قاله هنا بحذف «فإنما يهتدى» المذكور فى «يونس:١٠٨» والإسراء، اكتفاء بما ذكره بقوله قبل ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل﴾.

---

٨٨٨ ـ حاشية الصاوى على الجلالين ٣/ ٣٦٨ والبرهان ٤٣٩.

٨٨٩ ـ القرطبى.

٨٩٠ ـ راجع التفسير الكبير للفخر الرازى ٢٦/ ٢٨٤ والبرهان ٤٤٥.

٨٩١ ـ قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن للأنبياء، والعلماء والشهداء والأطفال شفاعة؟

قلت: معناه أن أحدًا لا يملكها إلا بتحليلها كما قال تعالى: ﴿من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه﴾ «٢: ٢٥٥» وقال: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ «٢١: ٢٨».

٨٩٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم .. ﴿٥٥﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن القرآن كله حسن؟

قلت: معناه تحسن وحى أو كتاب أنزل إليكم وهو القرآن كله أو أحسن آياته المحكمات، أو آياته التى تضمنت أمر طاعة أو إحسان وقد مر نظير هذا السؤال فى نظير هذه الآية فى الأعراف، فى قوله تعالى: ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾ وما مر ثم فى جوابه يأتى هنا.

٨٩٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ .. ﴿٦٥﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن الموحى إليهم جمع، ولما أوحى إلى من قبله، لم يكن فى الوحى إليهم خطابه.

قلت: معناه ولقد أوحى إلى كل واحد منك ومنهم لئن أشركت، أو فيه إضمر نائب الفاعل تقديره: ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك التوحيد، ثم ابتدا فقال: ﴿لئن أشركت﴾ أو فيه تقديم وتأخير تقديره: ولقد أوحى إليك لئن أشركت وكذلك أوحى إلى الذين من قبلك.

٨٩٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا .. ﴿٧٣﴾﴾ الآيتين.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن السوق فيه نوع إهانة لا يليق بأهل الجنة؟

قلت: المراد بسوق «أهل النار» طردهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل

---

٨٩٤ ـ الدر المنثور للسيوطى ٥/ ٣٤٣.

بالأسرى الخارجين على السلطان، إذا سيقوا إلى حبس أو قتل. وبسوق «أهل الجنة» سوق مراكبهم حثًا وإسراعًا بهم إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على السلطان.

فإن قلت: كيف قال فى وصف النار ﴿فتحت أبوابها﴾ بلا واو وفى وصفه الجنة بالواو، ﴿وفتحت أبوابها﴾؟

قلت: هى زائدة أو هى واو الثمانية لأن أبواب الجنة ثمانية، أو واو الحال أى جاؤوها وقد فتحت أبوابها قبل مجيئهم بخلاف أبواب النار فإنها إنما فتحت عند مجيئهم والسر فى ذلك أن يتعجلوا الفرح والسرور إذا رأوا الأبواب مفتحة.

وأهل النار يأتونها وأبوابها مغلقة ليكون أشد لحرها، أو أن الوقوف على الباب المغلق نوع ذل وهوان، فصين أهل الجنة عنه. أو أن الكريم يعجل المثوبة ويؤخر العقوبة، أو اعتبر فى ذلك عادة دار الدنيا، لأن عادة من فى منازلها من الخدم، إذا بشروا بقدوم أهل المنازل، فتح أبوابها قبل مجيئهم، استبشارًا وتطلعًا إليهم، وعادة أهل الحبوس إذا شدد فى أمرها، ألا تفتح أبوابها إلا عند الدخول إليها أو الخروج.

« تمت سورة الزمر »

****